تأملات فلسفية في فكر
الطاهر بن عاشور (المتوفي: ١٣٩٣هـ)

إعداد

دكتور / إبراهيم خالد أحمد خالد

مدرس بقسم العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية

بدراسات دمياط

بسم الله الرحمن الرحيم

تأملات فلسفية في فكر الطاهر بن عاشور (المتوفي: ١٣٩٣هـ)

إبـراهيم خالد أحمد خالد

قسم العقيدة والفلسفة ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين ، جامعة الأزهر، دمياط الجديدة ، مصر.

البريد الإلكتروني: ebrahim_khaled@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

هذا البحث إحدى المحاولات في الفلسفة الإسلامية، وإبراز جهود الإمام الطاهر بن عاشور وتأملاته الفلسفية ، وإظهار مدى حبه للفلسفة والفلاسفة ، وجهوده في التوفيق بين الدين والفلسفة وأدلته ومدى قوتها وكأنه يعيش بيننا.

ويهدف البحث: إلى بيان مفهوم الفلسفة عند الطاهر بن عاشور، وبداية ظهور الفلسفة والتوفيق بين الدين والفلسفة ، ولقد اتبع في ذلك منهج الفلاسفة المسلمين ، ويهدف البحث إلى عرض المدينة الفاضلة وأوصاف سكان هذه المدينة الفاضلة، وأن هذه المدينة قد تحققت على يد النبي المصطفى ـﷺـ.

المنهج المعتمد في البحث هو: المنهج التحليلي في دراسة القضايا المتعلقة بالبحث مثل مصطلح: الحكمة ، التوفيق ، الفلسفة ، المدينة الفاضلة ، وغير ذلك من المصطلحات وتحليلها تحليلاً دقيقاً من خلال مؤلفاته الفذة.

من أهم نتائج البحث: ذهب الطاهر بن عاشور مذهب الفلاسفة المسلمين ، وأنه ليس هناك اختلاف بين الدين والفلسفة ؛ فالفلسفة مكملة وموضحة للدين، ومفهوم الفلسفة هو إنارة العقل ومعرفة الحق، وأنه لا تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح ، والمدينة الفاضلة ، وذلك من خلال عرض أن الإنسان كائن اجتماعي بالطبع وقد أكد على ذلك القرآن والسنة والفلاسفة وعرض المدينة الفاضلة عنده، وأوصاف سكانها.

الكلمات المفتاحية: تأملات ـ فلسفية ـ فكر ـ الطاهر بن عاشور.

Philosophical reflections on the thought (died in 1393 AH) of Al-Taher bin Ashour

Ibrahim Khaled Ahmed Khaled
Department of Doctrine and Philosophy, College of Islamic and Arab Studies for Boys, Al-Azhar University, New Damietta, Egypt.
E-mail: ebrahim_khaled@azhar.edu.eg

Research Summary: This research is one of the attempts in Islamic philosophy, to highlight the efforts of Imam Al-Tahir bin Ashour and his philosophical reflections, and to show the extent of his love for philosophy and philosophers, and his efforts to reconcile religion and philosophy and his evidence and the extent of its strength, as if he lived among us.

The research aims: to explain the concept of philosophy according to Al-Tahir bin Ashour, and the beginning of the emergence of philosophy and the reconciliation between religion and philosophy. In this, he followed the approach of Muslim philosophers. The research aims to present the virtuous city and the descriptions of the inhabitants of this virtuous city, and that this city was achieved at the hands of the chosen Prophet

The method adopted in the research is: the analytical method in studying issues related to the research, such as the terms: wisdom, success, philosophy, the virtuous city, and other terms, and analyzing them carefully through his unique writings.

The method adopted in the research is: the analytical method in studying issues related to the research, such as the terms: wisdom, success, philosophy, the virtuous city, and other terms, and analyzing them carefully through his unique writings.

Keywords: Reflections - Philosophical - Thought - Al-Taher bin Ashour.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.... وبعد

فقد برز في الساحة الفكرية أعلام كثر في شتى مجالات العلم المختلفة ما بين فرع وأصل سطروا عظمتهم بأقلامهم ، وأنوار فكرية أفادتها أهل عصرهم ومن بعدهم ومن هؤلاء أصحاب الأقلام الساطعة الطاهر بن عاشور المفسر الكبير ، وفحل من فحول التفسير جمع بين الأصالة والمعاصرة وملأت كتبه الساحات الفكرية.

والذي وقف متأملا كتاب الله تعالى بين تفسير آيات الله تعالى والمعاني والأسرار التي وفقه الله إليها ، ومنها نظرته الفلسفية لبعض الموضوعات التي ذكرها في بعض كتبه فرأيت اتحاف القارئ بها جميعاً بين الأصالة والمعاصرة ؛ وإحياء لتراث الرجل الذي خدم الإسلام في تفسيره لكتاب الله تعالى فضلاً عن العلوم الأخرى فكان هذا البحث وعنوانه:

تأملات فلسفية في فكر الطاهر بن عاشور (المتوفي: ١٣٩٣هـ)

وأهم هذه التأملات وأبرزها والتي ساقها الرجل من مشارب القرآن الكريم ومن منهجه لتلك الآيات ، ومن خلال الصفحات التالية حاول الباحث التعرف على هذه المعاني والأسرار ، وعلاقته بالفكر الفلسفي الذي حسب تعلمه والإفادة منه وهو ما سنعرفه في الصفحات التالية.

والله اسأل التوفيق والسداد.

المنهج المستخدم في البحث.

وقد استخدمت في هذا بعض المناهج:

أولاً: **المنهج التحليلي**: الذي يقوم الباحث فيه بتحليل النصوص الموضوعة تحليلاً زمانياً وموضوعياً من خلال الأصول التي تقوم عليها الفلسفة.

ثانياً: **المنهج المقارن**: وبه يتم المقارنة بين أقوال وأراء فلاسفة اليونان وأقوال وأراء فلاسفة الإسلام وأقوال وأراء الإمام الطاهر بن عاشور .

أسباب اختيار الموضوع.

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع أسباب منها:

أولاً: إثبات ما للفلسفة الإسلامية من مميزات تعلي من شأنه بجانب العلوم الأخرى.

ثانياً: بيان حقيقة الفلسفة الإسلامية والدفاع عنها ، وبيان أن منهج الفلسفة الإسلامية هو القرآن الكريم ، ولأجل ذلك نرى أن الله ـ عز وجل ـ أمر بالنظر في الكون ، وإلي التعقل والتفكر والتدبر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[1] .

ثالثاً: التوفيق بين الدين والفلسفة وبيان أنه لا تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح ، فالفلسفة مكمله وموضحة للدين.

---

(١) سورة يونس الآية رقم (١٠١).

رابـعاً: مكانة الإمام الطاهر بن عاشور من بين سائر المفسرين وتأملاته الفلسفية وهذا واضح من خلال كلامة عن الفلسفة وعلماء الفلسفة وعرض مصطلحات الفلسفة.

وقد جعلت هذا البحث في مقدمة وتمهيد واربعة مباحث وخاتمة:

المقدمة: جاء الحديث فيها عن أسباب اختيار الموضوع، والمنهج الذي استخدمته في البحث، وعرض المباحث.

التمهيد: الحديث عن نبذة مختصرة عن تعريف الفلسفة ونشأة الفلسفة.

المبحث الأول: الإمام الطاهر بن عاشور حياته وعصره ومؤلفاته.

وفيه أشرت بإيجاز إلى حياة الإمام الطاهر بن عاشور وأهم مؤلفاته.

المبحث الثاني: الفلسفة بين المنطوق والمفهوم عند الطاهر بن عاشور.

وفيه تكلمت عن تعريف الحكمة ،وبدايات ظهور الحكمة ، ومفهومها ، وتعقيب.

المبحث الثالث: قضية التوفيق بين الحكمة والدين عند الطاهر بن عاشور.

وفيه تكلمت عن معنى التوفيق ، ودوافع التوفيق بين الحكمة والدين من خلال استعراضه لكلام الفلاسفة وآلياته التي نقلها عنهم ، وتعقيب.

المبحث الرابع: المدينة الفاضلة عند الطاهر بن عاشور.

وفيه تكلمت عن عرض المدينة الفاضلة عند الطاهر بن عاشور من خلال عرض أن الإنسان كائن اجتماعي في القرآن ، والسنة ، وعند الفلاسفة ، وعرض المدينة الفاضلة عنده ، وما هي أوصاف سكان هذه المدينة ، وتعقيب.

وفي الخاتمة:

عرضت لأهم ما توصلت إليه من نتائج.

والله أسأل أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وأن يعفو عني فيما زل فيه فكري وقلمي. وحسبي أنني أردت الخير وسع الاعتقاد وبذل الجهد قدر الطاقة، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم **والحمد لله أولاً وآخراً.**

تمهيد

التعريف بمصطلح (الفلسفة)

إن القارئ للفلسفة وتاريخها عبر عصورها السابقة يجد أنه من الصعوبة الوقوف على تعريف جامع مانع لمفهوم الفلسفة ؛ وذلك لأن الفلسفة في المقام الأول بحث عقلي وليست وحياً من الله معصوم بل هو عمل إنساني فعمل البشر يقع عليه الخطأ والنسيان والاختلاف.

أصل كلمة الفلسفة:

إن كلمة فلسفة لم تك عربية الأصل بل يونانية المنبع وتتكون من مقطعين فيلو، وصوفيا وتعني محبة الحكمة، والحكيم هو الذي يكرس حياته أو بعض حياته في تحصيلها [١].

وقد نسب إلى فيثاغورس (٥٨٢ ـ ٤٩٧ ق.م) قوله: (لست حكيما ؛ فإن الحكمة لا تضاف لغير الآلهة ، وما أنا إلا فيلسوف) أي محب للحكمة وبذلك يكون فيثاغورث أول من استخدم لفظ (فلسفة) [٢].

وكانت الفلسفة عند القدماء مشتملة على جميع العلوم، وهي قسمان: نظري وعملي ، أما النظري فينقسم إلى العلم الالهي ، وهو العلم الاعلى ، والعلم

(١) المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)، الدكتور جميل صليبا (المتوفى: ١٩٧٦م)،(٢/١٦٠)،الناشر: الشركة العالمية للكتاب ــ بيروت ــ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

(٢) تمهيد للفلسفة ، د / محمود حمدي زقزوق ،(ص ٣٨)، ط دار المعارف ــ الخامسة ــ١٩٩٤م.

الرياضي وهو العلم الأوسط ، والعلم الطبيعي ، وهو العلم الأسفل. وأما العملي فينقسم الى ثلاثة أقسام أيضا أولها: سياسة الرجل نفسه ، ويسمّى بعلم الأخلاق ، والثاني: سياسة الرجل أهله ، ويسمى بتدبير المنزل ، والثالث: سياسة المدينة والأمة والملك. ومع أن العلوم قد استقلت عن الفلسفة واحدا بعد واحد، فإنّ بعض الفلاسفة ظلّ يطلق الفلسفة على جميع المعارف الإنسانية ، مثل ديكارت الذي قال: إن الفلسفة أشبه شيء بشجرة، جذورها علم ما بعد الطبيعة ، وجذعها علم الطبيعة، وأغصانها العلوم الأخرى كالطب ، وعلم الميكانيكا ، وعلم الأخلاق.

والصفات التي تتميز بها الفلسفة هي الشمول، والوحدة ، والتعمق في التفسير والتعليل ، والبحث عن الأسباب القصوى والمبادئ الأولى ؛ لذلك عرفها (أرسطو) بقوله: إنها العلم بالأسباب القصوى، أو علم الموجود بما هو موجود.

وعرفها ابن سينا ، بقوله: إنها الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه ، وهي كما قال الجرجاني: التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية. أما في العصور الحديثة فإن لفظ الفلسفة يطلق على دراسة المبادئ الأولى التي تفسر المعرفة تفسيرا عقليا كفلسفة العلوم ، وفلسفة الأخلاق ، وفلسفة التاريخ [١].

(١) المعجم الفلسفي ، الدكتور جميل صليبا (١٦٠/٢).

(٢) الرسائل الفلسفية، أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، (١٨٥هـ ـ ٢٥٦هـ)،(ص ٧)، اعتنى به: عبد القادر محمد على، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

وعرفها الكندي بقوله: " أنها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان " (٢).

وإذا كان لفظ الفلسفة قد نشأ في المحيط اليوناني فليس معنى ذلك أن التفكير الفلسفي كان وقفا على اليونان، فالتفكير الفلسفي لم يكن في يوم من الأيام وقفاً على أمة دون أمة وإنما كان وسيظل حقا من حقوق الإنسان ، ولقد تفلسفت الشعوب الشرقية القديمة قبل اليونان، غير أن هؤلاء كان لهم الفضل في محاولة تحرير الفكر الفلسفي من الأساطير والديانات الشعبية السائدة ومحاولة تنظيمه على أسس عقلية، في حين كان الفكر عند الشعوب الشرقية القديمة، مع ما فيه من نظرات فلسفية لها وزنها، مختلطا بالأساطير والديانات الشعبية وملبياً لحاجات عملية (١).

ولذلك تعددت تعريفات كلمة الفلسفة ؛ وذلك لاختلاف وجهات نظر كل عالم في تعريفه لكلمة الفلسفة ؛ لأنه عمل إنساني وهذه هي طبيعة العمل الإنساني.

ولذلك يبين الدكتور محمود حمدي زقزوق في كتابه تمهيد الفلسفة صعوبة تعريف الفلسفة.

فيقول: " فهذا المصطلح من المفاهيم القليلة التي لها العديد من المعاني ، وليست هناك صيغة شاملة معتبرة ومعترف بها ترتبط وحدها بهذا المفهوم ، ولعل الصعوبة في العثور على تحديد أو تعريف ويتفق عليه بمفهوم الفلسفة يرجع إلى أن مفهوم الفلسفة ذاته يعد موضوعا فلسفياً ومن هنا لا أعجب إذا ذهبت وجهات النظر في شأنه مذاهب شتى شأن أي موضوع فلسفي آخر" (٢).

(١) تمهيد للفلسفة ، د / محمود حمدي زقزوق،(ص ٣٨).

(٢) المرجع السابق،(ص ٣٥).

المبحث الأول: الإمام الطاهر بن عاشور حياته وعصره ومؤلفاته.

التعريف بالإمام:

محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الشهير بالطاهر بن عاشور، ولد بتونس في أسرة علمية عريقة تمتد أصولها إلى بلاد الأندلس ، الإمام الضليع في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية ، وجده للأم هو الوزير الأكبر الشيخ محمد العزيز بوعتور[١].

فهو عضو في لجنة تنقيح برامج التعليم ، وبموجب ذلك دخل في هيئة النظارة العلمية المديرة لشئون جامع الزيتونة ، وفي سنة١٣٤١هـ ـ١٩٢٣م عاد إلى التدريس بجامع الزيتونة ، وفي سنة ١٣٥١هـ ـ١٩٣٢م سمي شيخ الإسلام المالكي ، وشيخا لجامع الزيتونة وفروعه ثم اقتصر على وظيفة شيخ الإسلام، ولما جاء الاستقلال سمي عميدا للجامعة الزيتونة في سنة ١٩٥٦م([٢]).

(١) محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن الوزير محمد بوعتور، وزير من العلماء والكتاب، أصل سلفه من صفاقس من ذرية الشيخ عبد الكافي بوعتور العثماني من سلالة الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ولد بتونس سنة(١٢٤٠هـ-١٨٢٥م) تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ (المتوفى: ١٤٠٨ هـ)(٣/٣٥٥) الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان ـ الثانية ـ ١٩٩٤م.

(٢) تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ (٣/٣٠٤ ـ ٣٠٥).

ولادته:

وكانت ولادته سنة ١٢٩٦هـ ـ١٨٧٩م بقصر جده للأم ، ينحدر الإمام من أسرة أندلسية "حيث يعود أصلها الأول إلى محمد بن عاشور الذي ولد بمدينة سلا[١] بعد خروج والده من جزيرة الأندلس فارًّا بدينة والمتوفى سنة ١١١٠هـ.

عصر الشيخ:

كان عصر الشيخ "ابن عاشور" عصر اضطرابات وفتن ؛ "فالبلاد التونسية ترزخ تحت وطأة الديون الخارجية وكان العبث والفساد والارتشاء قد عم حكام البلاد وأثقل كاهل التونسيين بالضرائب، وضعف نفوذ الخلافة العثمانية التي انحلت إلى دويلات هزيلة لا هم لحاكمها إلا التبذير والإسراف ، فبدأ الناس يتنادون بالعروشية ويقتلون لأتفه الأسباب فتسفك الدماء وتهتك الأعراض" [٢].

وهكذا ظهرت في المشرقين الأقصى والأدنى حركة إصلاحية مباركة، ونهضة فكرية شاملة: اجتماعية ، وسياسية ، زلزلت الأرض من تحت أقدام المستعمرين أو

(١) مدينة تقع في المغرب الأقصى كانت مقصدًا للعبادة وأهل الخلوة والانفراد. (ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تأليف: أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري،(١١٠/٦)، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، الناشر: دار الكتاب ــ الدار البيضاء ــ ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م.

(٢) من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور،(ص١٧ ـ ١٨)، حياته وآثاره، تأليف: دكتور/ بلقاسم الغالي، الناشر: دار ابن حزم ـ الأولى ـ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

كادت وشكا الباغون المستعمرون ، رغم إمعانهم في استنزاف قوى الشعوب الضعيفة والمواجهة لها ، ارتفاع صوت محرري الأوطان يصدع [١].

حياته العلمية.

تعلم في الكتاب حتى اتقن حفظ القرآن ، ثم تعلم ما تيسر من اللغة الفرنسية ، والتحق بجامع الزيتونة في سنة ١٣١٠ – ١٨٩٢ ، وسمي نائبا عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة فابتدأ أعماله بإدخال نظم مهمة على التعليم بحسب ما سمح به الحال، وحرر لائحة في إصلاح التعليم، ولقد كان ابن عاشور مثالاً للنظام والضبط والترتيب؛ فلقد تحدث عنه ابنه [٢] فيما ينقله عنه السيد عبد الله الريس بقوله " قضى حياته كلها في عمل متواصل دون أن يهمل أية ناحية من حياته العائلية اليومية ، مع المحافظة على الاستقامة والدقة ، والضبط، والحزم ، والنشاط والقيام على الوجه الأتم بشئون عائلته الكبيرة وتدبير أمورها " [٣].

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)(٢٥،٢٦/١)، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٢) محمد الفاضل ابن الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، أحد الأئمة الأعلام في تاريخ تونس المعاصر ومن أعلام الفكر الإسلامي الحديث الموسوعي الثقافة، توفي سنة ١٩٧٠م، وتولى إمامة الصلاة عليه والده بكل قوة وبرباطة جأش، ومن مؤلفاته: أركان النهضة الأدبية بتونس، التفسير ورجاله، ومضات فكر، تراجم الأعلام، تراجم المؤلفين التونسيين (٣/٣١٠– ٣١٤).

(٣) المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، بحث بقلم: د/ جمال محمود أحمد أبو حسان، (ص٦٢) ـ الخامس ـ العدد ٢أ ، سنة ١٤٣٠هـ–٢٠٠٩م.

ولمعرفة مكانة الطاهر بن عاشور العلمية يُرجى الاطلاع على كتابه التحرير والتنوير وموسوعته في التفسير أما في الحديث فهو حافظ حجة له إسناد جامع لصحيحي البخاري ومسلم ، وفي الفقه وأصوله سمي شيخ الإسلام المالكي ، وابن عاشور لغوي محقق بالمعنى الواسع لعلوم اللغة وللفلسفة والمنطق له مكانه وتقدير كان يدرس المنطق والحكمة وكثير ما يستشهد بأقوال الفلاسفة وينوه بآرائهم ويوظف مناهجهم ، بل إن آثاره العلمية لم يتح لها من الانتشار والتداول ما يجعلها في متناول الدارسين والباحثين [١].

جهده الإصلاحي:

لم تكن همة الإمام الطاهر وتطلعاته الإصلاحية ـ خاصة في المجال الفكري والعلمي ـ قاصرة على فرع دون آخر من فروع المعرفة الإسلامية وإنما كانت رؤيته الإصلاحية شاملة لكل العلوم التي كانت تدرس في جامعة الزيتونة ، فأسهم متفانياً مدة نصف قرن بنشاط خصيب في جميع المبادرات الرامية إلى تنظيم هياكل التعليم الزيتوني وتدبير برامجه قصد النهوض به وتطويره، ولقد كان قيامه بالتدريس بالمدرسة الصادقية ـ التي كانت تسير على غير منهج التعليم الزيتوني ـ مناسبة للاتصال بصنف من التلاميذ كانت صلتهم باللغة الفرنسية والثقافية الأوربية أوثق وأعمق من صلتهم باللغة العربية والثقافة الإسلامية [٢].

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية ، محمد الطاهر بن عاشور(١/١٦ ـ ١٨)

(٢) المصدر السابق،(١/٢٧ ــ ٢٨).

أوليات ابن عاشور:

للإمام الطاهر بن عاشور أوليات انفرد بها عن غيره منها:

١ ـ أول من فسر القرآن كاملاً في إفريقية وذلك في كتابه "التحرير والتنوير".

٢ ـ أول من جمع بين منصب شيخ الإسلام المالكي وشيخ الجامع الأعظم "الزيتونة".

٣ ـ أول من لقب بشيخ الإسلام، وهو لقب تفخيمي تداولته الرئاسة الشرعية الحنفية بتونس منذ القرن العاشر الهجري، ولم يكن لدى المالكية بتونس هذا اللقب.

٤ ـ أول من أحيا التصنيف في مقاصد الشريعة في عصرنا الحالي بعد العز بن عبد السلام والشاطبي.

٥ ـ أول من أدخل إصلاحات تعليمية وتنظيمية في الجامع الزيتوني في إطار منظومة تربوية فكرية (أليس الصبح بقريب)، كما أنه أدخل مواد جديدة إلى الدراسة مثل الجبر، والفيزياء، وأكثر من دروس الصرف وأدب اللغة[١].

وفاتــه:

اشتهر بالصبر وقوة الاحتمال وعلو الهمة والاعتزاز بالنفس والصمود أمام الكوارث توفي يوم الأحد ١٣ رجب(١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م)بعد مسيرة من العطاء والكفاح والنضال لقي الإمام ربه حيث فارق شيخنا العزيز الدار الفانية [٢].

(١) محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، تأليف: إياد خالد الطباع، ص٧٨، ٨٠، الناشر: دار القلم، ـ الأولى ـ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ــ من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، (ص٥٦، ٦٢).

(٢) أعلام تونسيون، تأليف: الصادق الزّمرلي، (ص٣٦٦ـ ٣٦٧)، تقديم وتعريب: حمادي الساحلي، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى-١٩٨٦م.

بـعض مؤلفاتــه:

رحل " الطاهر بن عاشور" عن عالمنا تاركًا وراءه نتاجًا ضخمًا في شتى نواحي العلم والمعرفة فمن هذه المؤلفات الجليلة [١] على سبيل المثال لا الحصر:

أ- العلوم الإسلامية:

١ ـ التحرير والتنوير.
٢ ـ مقاصد الشريعة.
٣ ـ أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.
٤ـ أليس الصبح بقريب.
٥ ـ الوقف وآثاره في الإسلام.
٦ ـ قصة المولد.
٧ ـ تعاليق على المطول وحاشية السيالكوتي.
٨ ـ آمال على مختصر خليل.
٩ ـ آمال على دلائل الإعجاز.
١٠ ـ أصول التقدم في الإسلام.
١١ ـ التوضيح والتصحيح في أصول الفقه.
١٢ ـ فتاوى ورسائل فقهية.
١٣ـ كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.
١٤ ـ حواشي على التنقيح لشهاب الدين القرافي [٢] في أصول الفقه.
١٥ ـ النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح.

(١) من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، (ص٦٨).

(٢) أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي القرافي، من علماء المالكية، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة توفي (٦٨٤هـ/١٢٨٥م) ـ الأعلام، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد علي بن فارس الزركلي الدمشقي،(ت١٣٩٦هـ) ،(٩٤/١)،الناشر: دار العلم للملايين ـ الخامسة عشر ـ مايو ٢٠٠٢م).

ب ـ مؤلفاته في اللغة العربية وآدابها:

١ ـ أصول الإنشاء والخطابة. ٢ ـ موجز البلاغة.

٣ ـ شرح ديوان بشار. ٤ ـ سرقات المتنبي.

٥ ـ تراجم لبعض الأعلام. جمع وشرح ديوان سحيم [١].

٦ ـ تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي[٢].

(١) سحيم عبد بني الحسحاس بن هند بن سفيان بن غضاب بن كعب بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة وهو شاعر رقيق حواشي الكلام، قتله بنو الحسحاس في زمن عمر بن الخطاب سنة ٤٠هـ ـ طبقات فحول الشعراء، تأليف: ابن سلام الجمحي،(١٧٢/١)،الناشر: دار المدني– جدة.

(٢) تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ ،(٣٠٧/٣).

المبحث الثاني: الفلسفة بين المنطوق والمفهوم عند الطاهر بن عاشور.

لقد عنى الطاهر بن عاشور بالفلسفة من حيث إنها أمور عقلية وتدعو إلى أعمال العقل ، وليس له مصنف خاص بالفلسفة ولكن أفكاره وتأملاته الفلسفية في كتبة ، ومن خلال تفسيره للقرآن الكريم ، وقد اعتبر الحكمة والفلسفة ككلمتين مترادفتين وهذا هو منطوق الفلسفة ولذلك اهتم بعرض تعريف الحكمة لغة واصطلاحاً ، وبداية ظهور الحكمة ، ومفهوم الحكمة.

ويتضح ذلك عند عرض المطالب القادمة :

المطلب الأول: تعريف الحكمة عند الطاهر بن عاشور.

تعريف الحكمة في اللغة والاصطلاح:

أ ــ تعريف الحكمة في اللغة [1] :

الحِكمة بكسر الحاء مشتقة من الحُكْم ، وهو المنع لأنّها تمنع صاحبها من الوقوع في الغلط والضلال ، فيُقال: أحكم فلان فلانًا منعه ، ومنه حَكَمَة اللجام ما أحاط بحنكي الدابة ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[2] ، والحكيم فعيل من

(١) لسان العرب ، ابن منظور، (مادة حكم)،(٢٧٢/٣ ــ ٢٧٠)، تصحيح/ أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ الثالثة ــ ١٩٩٩م.

(٢) سورة هود الآية رقم (١).

أَحكم إذا أتقن الصنع بأن حاطه من الخلل [١].

ب ـ تعريف الحكمة في الاصطلاح:

التزم الشيخ الطاهر بن عاشور نهج الفلاسفة قديمًا وحديثًا في اعتبار الحكمة والفلسفة ككلمتين مترادفتين ، لاسيما ولفظ الفلسفة " مشتق من اليونانية وأصله (فيلا– صوفيا) ، ومعناه: محبة الحكمة "[٢]" وكان الذين عندهم هذا العلم من اليونانيين يسمونه الحكمة على الإطلاق ، والحكمة العظمى ، ويسمون اقتناءها العلم وملكته الفلسفة ، ويعنون به إيثار الحكمة العظمى ومحبتها ، ويسمون المقتني لها فيلسوفًا " [٣].

سمات الحكمة عند الطاهر بن عاشور:

أ) ـ كونها تهدف إلى التشبه بالخالق على قدر الطاقة البشرية، ويظهر ذلك جليًّا في تعريفات الفلاسفة ، يقول ابن سينا في ذلك: " الحكمة استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)،(٤١٥/١)، الناشر: الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤هـ .

(٢) المعجم الفلسفي، جميل صليبا،(١٦٠/٢).

(٣) تحصيل السعادة، الفارابي ،(ص٨٦)، قدَّم له د/ علي بو ملحم، الناشر/ ط دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ الأولى ـ١٩٩٥م، ـ وابن سينا، في رسالة أقسام العلوم العقلية (تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات) ،(ص١٠٥)، ط دار العرب للبستاني، القاهرة ـ الثانية.

البشرية " [١] يؤكد ابن سينا في هذه العبارة على استكمال الإنسان وكماله يتحقق بنوعين من الحكمة: النظرية والعملية على قدر الطاقة البشرية ، وإلى هذا المعنى يذهب الطاهر بن عاشور، وذلك في تعريف الحكمة ؛ قائلًا: " إن الحكمة كلها هي التشبه بالخالق بقدر الطاقة البشرية " [٢].

ب) ـ كونها –كما يقول ابن عاشور– تطلق " على المعرفة الخالصة عن شوائب الأخطاء وبقايا الجهل في تعليم الناس وفي تهذيبهم " [٣] ، وفي ذلك إشارة إلى وظيفتها النظرية ، في كونها ترفع الجهل في تعليم الناس ، وإلى وظيفتها العملية ؛ كونها تضطلع بتهذيبهم.

ج) ـ كونها –لديه– تهدف لا إلى إصلاح الناس فقط ، بل إلى بقائهم واستمرارهم على ذلك الصلاح في الحال والمعتقد، فنراه يقول في تعريف الحكمة: " هي اسم جامع لكل كلام أو علم يُراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحًا مستمرًا لا يتغير " [٤] وقد كان هذا هدفًا من الأهداف التي يسعى الفلاسفة –لاسيما الإسلاميين منهم– من وراء تعلُّمها وتعليمها ، فها هو ابن رشد يقول: " الحكمة

(١)عيون الحكمة، ابن سينا، (ص١٦)،تحقيق: د/عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت ــ الثانية ــ١٩٨٠م.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،(٦٧١/١) و(٢٨٥/١٧).

(٣) المصدر السابق، (٣٢٧/١٤) و(١٧٥/٢٧).

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (٦١/٣) و(٧٣٣/١).

هي صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة " [١] وعبارة (والأخت الرضيعة) تعني لديه ، وغيره من الفلاسفة ، كون علوم الحكمة النظرية والعملية على حد سواء مستفادة من جهة الشريعة والملة الإلهية ، وهو ما أكده ابن سينا في حديثه عن أقسام ومبادئ الحكمة النظرية والعملية [٢].

د) ـ كونها –لدى ابن عاشور– معنية بمعرفة حقائق الأشياء على قدر الطاقة الإنسانية ؛ إذ يقول: " فسرت الحكمة بأنّها معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بما تبلغه الطاقة ، أي بحيث لا تلتبس الحقائق المتشابهة بعضها مع بعض ، ولا يغلط في العلل والأسباب " [٣] يتفق في ذلك مع الكندي في تعريف الفلسفة فيقول: " صناعة الفلسفة التي حدها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان " [٤].

ذ) ــ فالحكمة عند الشيخ مكتسبة ، يُحَصِّلها الإنسان بالتلقي عن مُعَلِّم ، يؤكده قوله: " وأما الحكمة فهي تعليم طالبي الكمال من معلّم يهتمّ بتعليم طلابه " [٥].

لكن على الرغم من كون الحكمة مكتسبةً ، فإنها تفتقر قبل ذلك إلى مشيئة الله

---

(١) فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)،(ص٦)، تحقيق: محمد عمارة، الناشر: دار المعارف ــ الثانية.

(٢) عيون الحكمة، ابن سينا،(ص١٦).

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،(٦١/٣) و(١٠٦/١٥).

(٤) كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى (رسائل الكندي الفلسفية) الكندي،(القسم الأول/٢٥)، تحقيق:محمد عبد الهادي أبو ريدة، الناشر/ مكتبة الخانجي، القاهرة ــ الثانية ــ ١٩٧٨م.

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (١٤/ ٣٢٩)

تعالى وتوفيقه، فيجتمع لصاحبها –عند الطاهر بن عاشور– مع ذلك استعداد خاص فيقول: " ومن يشاء الله تعالى إيتاءه الحكمة هو الذي يخلقه مستعدا إلى ذلك ، من سلامة عقله واعتدال قواه ، حتى يكون قابلًا لفهم الحقائق منقادًا إلى الحق ، لا يصدّه عن ذلك هوى ولا عصبية ولا مكابرة ولا أنفة ، ثم ييسّر له أسباب ذلك من حضور الدعاة وسلامة البقعة من العُتاة ، فإذا انضمّ إلى ذلك توجّهه إلى الله بأن يزيد أسبابه تيسيرًا ويمنع عنه ما يحجب الفهم فقد كمل له التيسير " (١).

يرى الباحث: وفي هذا النص يضع الطاهر بن عاشور ملامح الحكيم وصفاته التي يجب أن تتوفر فيه: الاستعداد الخاص لتقبل الحكمة وتعلمها والعمل بها وهذا الاستعداد هو من الله بأن يخلقه وهو مهيأ لهذا الاستعداد. والانتقاء للحق فلا عصبية ولا هوى ولا غرور ولا عُجب ولا كبر بل تواضع وحلم ، وتيسر الأسباب بكثرة النظر والاعتبار والخضوع لعلام الغيوب.

بدايات ظهور الحكمة عند الطاهر بن عاشور.

يتفق الطاهر بن عاشور مع جمهور من العلماء قديمًا وحديثًا على ربط نشأة علوم الحكمة ببلدان الشرق القديم، فهناك من رأى أن نشأتها في الشرق كان أمرًا طبيعيًا ؛ ذلك أن الحضارة تركزت في الشام وفارس، ومنها انتقلت إلى بلاد اليونان، الذين لا يُنسى فضلهم –على حد قوله– في تهذيبها وتصحيحها وتفريعها وتقسيمها إلى حكمة نظرية وعملية ، فنراه يقول: "ومبدأ ظهور علم الحكمة في الشرق عند الهنود البراهمة والبوذيين ، وعند أهل الصين البوذيين ، وفي بلاد

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ، (٦١/٣)

فارس في حكمة زرادشت ، وعند القبط في حكمة الكهنة ، ثم انتقلت حكمة هؤلاء الأمم الشرقية إلى اليونان ، وهُذّبت وصحّحت وفرّعت " (١).

وبذلك يرد الطاهر على من ادعى أن الفلسفة يونانية النشأة ، ويكون حكمه متصفًا بالموضوعية ، فإذا كان يرد مبدأ ظهور الحكمة إلى حضارات الشرق القديم ، نراه مع ذلك يحفظ لأمة اليونان فضلهم وجهدهم في تهذيبها وتصحيحها.

ولتوضيم ذلك يقول الدكتور توفيق الطويل: " الشرق القديم فقد التمس المعرفة ليسد بها حاجة عملية، أو يشبع بها عقيدة دينية. مثل استخدام المصريون الرياضيات في مسح الأرض وشق الترع والأهرامات وغيرها من أغراض عملية ودينية ؛ ولكن اليونان هم الذين أنشأوا هذه العلوم في صورتها النظرية الخالصة " (٢).

ولكنه مع ذلك يرجع بأصلها إلى الوحي الإلهي الذي أرسل به النبيون لأقوامهم ، ومنه كان صلاح عقول البشر وأخلاقهم ، وعليه يكون قد ربط بين علوم الحكمة والأديان ، وقوله هذا يؤيد ما ذهب إليه كثير من الفلاسفة إلى محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة ، **من أمثال:** الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد ؛ فيقول في ذلك: " وعلوم الحكمة هي مجموع ما أرشد إليه هدي الهداة من أهل الوحي الإلهي الذي هو أصل إصلاح عقول البشر ، فكان مبدأ ظهور الحكمة في الأديان ، ثم ألحق بها ما أنتجه ذكاء أهل العقول من أنظارهم المتفرّعة على أصول الهدي الأول " (٣).

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ، (٦١/٣) .

(٢) أسس الفلسفة، د/توفيق الطويل،(ص٢٧ ــ ٢٨)، مكتبة النهضة المصرية ـ الثالثة ـ (د ـ ت).

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،(٦٤/٣ـ٦٥).

ويقول كذلك: " وانحصرت هذه العلوم في طريقتي سقراط ، وهي نفسية ، وفيثاغورس ، وهي رياضية عقلية ، والأولى يونانية ، والثانية لإيطاليا اليونانية ، وهو أرسطوطاليس ، وهذّب طريقته ووسّع العلوم ، وسُمّيت أتباعه بالمشَّائين ، ولم تزل الحكمة من وقت ظهوره معوّلة على أصوله إلى يومنا هذا "[١].

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،(٣/٦٤ـ٦٥).

المطلب الثاني: مفهوم الحكمة عند الطاهر بن عاشور.

الجانب الفكري والفلسفي لدى الشيخ ، فإن القارئ لتراثه يدرك عنايته الفائقة بالعلوم العقلية ، فضلًا عن تأثره بالمذاهب الفلسفية والكلامية ، وإن كانت شهرته كفقيه ومفسر مالكي مارس التفسير والفقه أظهرته كمجدد لعلوم الدين ، وغطت على حقيقة خلفيته الفلسفية التي استمدها من السيناوية أي من كتاب (النجاة) و(الإشارات) لابن سينا ، فضلًا عن استشهاده في بقية كتبه بكلام الفلاسفة اليونانيين والإسلاميين على حد سواء ، فدراسته الشرعية وارتقاؤه لمشيخة جامع الزيتونة لم يمنعاه من إبداء الرأي في الفلسفة وعلومها.

مفهوم الفلسفة عند الطاهر بن عاشور هو إنارة العقل ومعرفة الحق فيقول: " الفلسفة الباحثة عن الدقائق الفكرية فإن أهميتها تتمثل في إنارة العقل وتدريبة على فتح أبواب الحقائق المصفودة والحكم الأعلى على عموم العلوم بما تروض عليه الذهن من ممارسة المغلقات المعلومات ومن ثم فوظيفة الفلسفة الأساسية وظيفة تحليلية ونقدية تتمثل في نقد العلوم والبحث في أسرارها وعللها " [١].

ولعل دراسة سريعة لتفسير الشيخ الطاهر بن عاشور المسمى بـ(التحرير والتنوير) وطريقته في التفسير المحدثة والمعتمدة على أساليب الفلاسفة في دراسة

(١) أليس الصبح بقريب، تأليف: الإمام: محمد الطاهر بن عاشور،(ص١٥١)، الناشر: دار سنحون للنشر والتوزيع بتونس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ــ الأولى ــ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

النص الشرعي تدلنا على ذلك ، فالاسم الأصلي لهذا التفسير: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ثم سمي اختصارًا بـ(التحرير والتنوير) [١] وهذه الكلمة (التنوير) تظهر تأثر الشيخ –إلى حد ما– بآراء الفلاسفة والمتكلمين ، ولعل الدارس لهذا التفسير يلمس ذلك.

بل ذهب الشيخ في تأييده للعلوم العقلية مبلغًا يكاد يتفق فيه مع أصحابها ؛ إذ جعلها إحدى الركائز المهمة في نهضة الأمة ، وقد اتضح ذلك أيضاً عند عرضه لسبل الإصلاح الفكري وأن الفلسفة من أهم ما يؤدي إلى هذا الإصلاح فقد استعرض استعراضاً شافياً لأطوار التعليم والطرق الكفيلة بتحقيق إصلاحه كما ضمنه آراءه الاصلاحية ومنها العلوم الفلسفية وعلم المنطق ومثل ثورة عارمة عن الأوضاع الموجودة التي بدأت تدوينها سنة ١٣٢١ هجرية ١٩٠٢ ميلادية ([٢]).

إن المتأمل في ثقافة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من خلال مؤلفاته يلاحظ تنوعًا فريدًا بين الثقافة الشرعية والثقافة الفلسفية، وإلمامًا بشتى العلوم التي تضمنها القرآن الكريم من أخبار الأمم والأنبياء، وتهذيب الأخلاق، وأصناف التشريع، وأنواع الفلسفات [٣].

وقد سبقت الإشارة إلى أن الشيخ يعلي من مكانة الحكمة، إذ يراها أعلى ما تصل إليه العقول البشرية ، ولما كانت الفلسفة تعني محبة الحكمة ، وهو ما أشار إليه محقق كتاب (مقاصد الشريعة الإسلامية للشيخ) ؛ إذ يقول: " وللفلسفة

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (٨/١).
(٢) أليس الصبح بقريب، الطاهر بن عاشور ، (ص ٥ ، ١٩٧).
(٣) من أعلام الزيتونة ، د/ بلقاسم الغالي، (ص٣٩).

والمنطق عند ابن عاشور مكانة وتقدير، فقد كان يدرس المنطق والحكمة ، وكان كتاب النجاة للشيخ الرئيس أبي علي بن سينا من جملة الكتب التي درسها بجامع الزيتونة ، وهو كثيرًا ما يستشهد بأقوال الفلاسفة وينوه بآرائهم، ويوظف مناهجهم في استدلالاته وتحليلاته ، ويدرأ ما حاق بأنظارهم من سوء فهم وسوء تأويل" [١].

تعقيب:

إن ما ذهب إليه الطاهر في المبحث الأول لم يخرج في إطاره العام عما ذهب إليه علماء أهل السنة ، في تعريفه للحكمة وأن منطوق الفلسفة يساوي الحكمة بنظره .قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [٢] وكذلك مفهومه للفلسفة واهتمامه بها ، وأنه قد اتبع منهج القرآن الكريم في إعمال العقل.

ومن ذلك على سبيل المثال يقول ابو فخر الرازي في تعريف الحكمة: " الحكمة بمعنى فعل الصواب فقيل في حدها: إنها التخلق بأخلاق الله بقدر الطاقة البشرية " [٣].

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب (مقاصد الشريعة الإسلامية) للطاهر ابن عاشور، (ص١٧)، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، ط دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن ــ الثانية ــ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م.

(٢) سورة البقرة الآية رقم (٢٦٩).

(٣) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)(٥٨/٧)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ الثالثة ـ ١٤٢٠ هـ.

وعند تعريف الفلسفة في المعجم الفلسفي إن كلمة فلسفة تعني محبة الحكمة، والحكيم هو الذي يكرس حياته وبعض حياته في تحصيلها [١] ، وتعريف الحكمة عند الشريف الجرجاني فيقول: " علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية، فهي علم نظري غير آلي، والحكمة أيضا: هي هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الغريزة التي هي إفراط هذه القوة، والبلادة التي هي تفريطها " [٢].

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا ، (٢ / ١٦٠).

(٢) معجم التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(المتوفى:٨١٦هـ)،(ص ٩١)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ــ الاولى ــ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

المبحث الثالث: قضية التوفيق بين الحكمة والدين عند الطاهر بن عاشور.

التوفيق بين الدين والحكمة هو التوفيق بين ما جاء به الوحي وبين أقوال الفلاسفة من إعمال العقل فقد قام فلاسفة الإسلام بالتوفيق بين الدين والفلسفة في العصور الوسطى فكان العصر الوسيط عصر نور وازدهار.

معنى التوفيق: هي أن تتخير من المذاهب الفلسفية المختلفة ، أو المتقابلة بعض الآراء المتطابقة ، وأن تحاول الجمع بينها في رأي واحد متماسك ، أو هي الكشف عن وجهة نظر عالية تطابق بين الآراء الفلسفية المتعارضة.

ومذهب التوفيق هو الجمع بين الآراء والمذاهب المختلفة ، ومحاولة التأليف بينها ، لتكوين مذهب واحد متماسك الأجزاء ، مثال ذلك: مذهب الفلاسفة العرب الذين حاولوا التوفيق بين الفلسفة اليونانية والشريعة الاسلامية [١].

التوفيق بين الدين والفلسفة عند الطاهر.

يتضح لنا أن الطاهر بن عاشور قد استعمل الحكمة مرادفة للفلسفة ، ملتزمًا في ذلك نهج الفلاسفة المسلمين: من أمثال الشيخ الرئيس ابن سينا[٢] في كتابه: (عيون الحكمة) وكذلك الفيلسوف ابن رشد ، وهو ما يتضح من عنوان كتابه: (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) ، وبذلك يكون حديثُه عن

(١) المعجم الفلسفي ، جميل صليبا، (٢ / ٣٦٥)

(٢) الفلسفة الإسلامية، أحمد فؤاد الأهواني، (ص٤٩) ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ــ الأولى ــ ١٩٨٥م.

الحكمة وعلومها ، حديثًا عن الفلسفة وعلومها ، صحيح أن ذلك لم يمنعه من التصريح بمصطلح الفلسفة وتأييدها ، وبيان أهمية تعليمها وتعلُّمها ، إيمانًا منه بدورها في إصلاح المجتمع.

المطلب الأول: دوافع التوفيق بين الحكمة والدين عند الطاهر بن عاشور.

ويلي ذلك محاولة استخلاص دوافع التوفيق ومظاهره بين الشريعة والفلسفة عنده وتظهر حماسة الشيخ الزائدة في الدفاع عن العلوم العقلية من جانب ، ورغبته في التوفيق بينها وبين العلوم النقلية من جانب آخر ، وذلك في نقده لأبي بكر ابن العربي ؛ لكونه ذهب في كتابه العواصم " إلى إنكار التوفيق بين العلوم الفلسفية والمعاني القرآنية " مؤكدًا أن ذلك " على عادته في تحقير الفلسفة لأجل ما خُولِطَتْ به من الضلالات الاعتقادية " [١] واصفًا إياه بأنه " مفرط في ذلك مستخف بالحكماء " [٢].

فالفلسفة من العلوم التي تزيد المفسر والعالم خبرة في كافة العلوم ومن العلوم التي لها علاقة بالقرآن وقد أقر بذلك الطاهر بن عاشور واعتبر الفلسفة من العلوم التي تساعد المفسر في استخلاص المعنى الصحيح ؛ لذلك يقول الطاهر بن عاشور: " علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيئة وخواص المخلوقات " [٣].

وهو بذلك لم يخرج على درب الفلاسفة قديمًا وحديثًا في التوفيق بل والتقريب بين الشريعة والفلسفة ، إيمانًا منه ومنهم بأن كلًا منهما " يشتملان على موضوعات

(١) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) ،(ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦)، المحقق: محب الدين الخطيب – ومحمود مهدي الاستانبولي، الناشر: دار الجيل بيروت – لبنان ـ الثانية ـ ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (٤٥/١).

(٣) المصدر السابق،(٤٥/١).

بأعيانها ، وكلتاهما تعطيان المبادئ القصوى للموجودات ، وتعطيان الغاية القصوى التي لأجلها كون الإنسان وهي السعادة القصوى " [١] وإن اختلفت الوسائل بينهما في ترغيب الناس فيهما ، والعمل بمقتضاهما.

وتتجلى دوافع التوفيق بينهما في النقاط الآتية:

١) ــ أن دعوة الإسلام في أصوله وفروعه لا تخلو عن شعبة من شعب الحكمة:

فنراه يربط بينهما في سياق حديثه عن المهم من الحكمة في نظر الدين ، فيقول: " والمهم من الحكمة في نظر الدين أربعة فصول: أحدها: معرفة الله حق معرفته ، وهو علم الاعتقاد الحق ، ويسمّى عند اليونان العلم الإلهيّ أو ما وراء الطبيعة ، الثاني: ما يصدر عن العلم به كمال نفسية الإنسان ، وهو علم الأخلاق ، الثالث: تهذيب العائلة ، وهو المسمّى عند اليونان علم تدبير المنزل ، الرابع: تقويم الأمة وإصلاح شؤونها ، وهو المسمّى علم السياسة المدنية ، وهو مندرج في أحكام الإمامة وأحكام السلطانية ، ودعوةُ الإسلام في أصوله وفروعه لا تخلو عن شعبة من شعب هذه الحكمة " [٢].

٢) ــ أنه لا تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح:

إيمانًا من الشيخ ابن عاشور بأن العقيدة مؤسسة على التفكير، وأن العقل إذا رُبِّيَ على صحة الاعتقاد ، تخلص من مخالطة الأوهام الضالة ، فشبَّ على سبر الحقائق والمدركات الصحيحة ، ونبأ عن الباطل ، وتهيأ لقبول التعاليم الصالحة

(١) تحصيل السعادة، الفارابي، (ص٨٩).

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،(٦٣/٣).

والعمل للحق ، وبذلك يمتنع لديه وجود تعارض بين هذا العقل الصريح ، وتلك العقيدة الصحيحة ، بل يكون بينهما توافقٌ.

وبناء عليه كانت تلك نظرة المسلم المستنير الذي اجتمع لديه عقل صريح ونقل صحيح يقول الشيخ مؤكدًا ذلك: " فهذه العقيدة التي تقبلها العقول المستنيرة ، ولا تجافيها الفلسفة الحقة ، ولأجلها كان المسلمون معصومين من الكُفر " (١).

٣) ــ أهمية الفلسفة في البناء الحضاري وإصلاح المجتمع:

إدراكًا منه بأهمية الفلسفة في البناء الحضاري وإصلاح المجتمع، حاول جاهدًا إقناع الآخرين بذلك ، انطلاقًا من القول بعدم تعارضها مع أصول العقيدة ، مما يجعل القبول بها كأساس من أسس الإصلاح أمرًا لا غضاضة فيه.

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال دعواته المتكررة بضرورة الاستفادة من العلوم المدنية ، ومنها الفلسفة في البناء الحضاري للأمة ، قياسًا على ما كانت عليه أمة اليونان ، متخذًا من نشأة المدارس في الإسلام دليلًا على امتزاج مدنية الإسلام بمدنية اليونان ، فنراه يقول: " وأحسب أنه ما نشأت فكرة وضع المدارس لدراسة العلوم في الإسلام إلا من أثر امتزاج التمدن في عصر الدولة العباسية بين مدنية الإسلام ومدنية اليونان ؛ لأنهم لم يغفلوا حين ترجمتهم كتب اليونان عن ذكر مدرسة أفلاطون " (٢).

---

(١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر بن عاشور،(ص٥٠)، الشركة التونسية للتوزيع– تونس ـ الثانية ـ ١٩٨٥م.

(٢) أليس الصبح بقريب، الطاهر ابن عاشور، (ص٥٠).

وهذا لا بأس فيه طالما كان الهدف نبيلًا والوسيلة صحيحة لا تعارض صحيح الدين وثوابته ، ويدعونا إليه ديننا الحنيف إليه ، وفي سيرة نبينا ﷺ ما يؤكد ذلك: فقد أمر ﷺ أسرى المشركين في بدر، الذين لا يجدون ما يفدون به أنفسهم: أن يُعَلِّم الواحدُ منهم عشرةً من أطفال المسلمين القراءة والكتابة ، مقابل إطلاق سراحهم [١].

المطلب الثاني : بين الحكمة والدين عند الطاهر بن عاشور.

من خلال استعراضه لكلام الفلاسفة وآلياته التي نقلها عنهم والتوفيق بين الحكمة والدين ، **وبناء عليه صرنا بحاجة إلى استحضار الشواهد على تلك المكانة من خلال مؤلفاته ، ومنها:**

١) ـ كون الحكماء والفلاسفة مشاركون للأنبياء في هداية البشرية وتقدم الأمم:

مما لاشك فيه أن هداية البشرية وإرشادهم ؛ لإخراجهم من ظلام الجهل والشرك إلى نور العلم والإيمان ، مهمة جليلة ، نيطت بالأنبياء والرسل لا ينضم إليهم في مهمتهم تلك –في نظر ابن عاشور– الحكماء لما لهم من مكانة سامية عند أممهم ، فضلًا عما يمتلكونه من حقائق ، يوضح ذلك قوله: "... مرشدي الأمم من رسل وحكماء ومرشدين وناصحين " [٢] . وليس هناك تساوي بين الأنبياء المعصومون والحكماء المرشدين ، ولكن ما ينبغي تأكيده أن عطف الحكماء والمرشدين

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، (٤/ ٩٢)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت ـ الأولى ـ١٩٩٥م ـ الطبقات الكبير، ابن سعد ، (٢٠/٢)، تحقيق: علي محمد عمر، الناشر/ مكتبة الخانجي، القاهرة، ـ الأولى ـ ٢٠٠١م.

(٢) أليس الصبح بقريب ، الطاهر بن عاشور، (ص٩).

على الرسل في عبارته تلك يشير إلى حقيقة مهمة ان مهمة كل منهم الرشد والنصيحة ، فالحكماء من خلال أدلة العقل يوضح ويدلل على ما ذهب اليه الشرع.

٣) ـ استدعاؤه كلام الفلاسفة على دعوته في إصلاح التعليم:

حمل الشيخ ابن عاشور على عاتقه لواء الإصلاح في كل جوانب المجتمع ، لاسيما إصلاح التعليم ؛ كونه من جهة يدرك أن التعليم من أصول المدنية البشرية ، ومن جهة أخرى يرى أن كل إصلاح فرع عنه ؛ لذلك نراه يؤكد على سمو المهمة وفضل صاحبها ، طالما اتفقت في المقصد ، وإن اختلفت في الوسيلة مع مهمة الوحي ورسالة الأنبياء والرسل.

وتبرز المكانة العالية للفلسفة عنده من خلال تطوير التعليم في جامع الزيتونة إلى شعبتين تحظى فيهما دراسة الفلسفة بموقع الصدارة خلف المواد الشرعية [١] :

وهاتان الشعبتان هما: الشعبة الأصلية: وتنبني الدراسة فيها على المواد الشرعية كالفقه والتفسير والحديث مع الأخذ بعلوم الحساب والفلسفة والتاريخ والجغرافيا.

والشعبة العصرية: تلم بالعلوم الشرعية مع الأخذ الكثير بالعلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية والتاريخ واللغات.

كما كان استدعاؤه كلام الفلاسفة في إصلاح التعليم وغيره ، مؤشرًا قويًا على ثقة الشيخ بتوجيهاتهم ، داعيًا غيره لاسيما المؤسسات العلمية والتربوية بتبني طرائقهم في الإصلاح طالما لا تتعارض مع صحيح الدين ، فالتعليم الصحيح – إذن– كما يقول ابن عاشور: "يرمي إلى إنشاء أرقى أصناف الناس من كل مَنْ

(١) من أعلام الزيتونة ، د/ بلقاسم الغالي، (ص٥٩–٦٠).

تمرس بالأشغال والأعمال ، أو رُزق المواهب الحسنة ورغب في سلوك خير السبل ، وشغف بالمعرفة وامتاز بحب الواجب والتعقل " [١].

ظهر التعليم في بادئ الأمر ضيقًا ضئيلًا عند الجماعات الأولى من البشر ، ثم تطور الأمر شيئًا فشيئًا بظهور الأديان السماوية التي كانت سببًا في رُقيِّه وتقدمه ، بعدما كان يتسم بنوع من البساطة والجمود اللذين ظهر عليهما.

وقد تفاوتت جهود الأمم في الأخذ بنصيب منه ، ففي فترة من فترات التاريخ تصدرت أمة اليونان المشهد مستفيدة في ذلك بما حظي به التراث الإنساني والديني لأمم الشرق القديم من فنون ومعارف وقيم أخلاقية[٢] ، حتى غدت لها الزعامة في العلوم: النظرية منها والعملية على حد سواء ، يشير الشيخ ابن عاشور إلى ذلك قائلًا: " أخذ اليونان صولجان الزعامة في العلوم، فاستخلصوا من علوم القبط والهنود والكلدان أصح الحقائق، وهذبوها ، ونقوها من الأوهام والأغلاط " [٣].

ولما كان التعليم يحتاج إلى مؤسسات تقوم على رعايته وإدارة شؤونه وشؤون طلابه ، وذلك بإنشاء المدارس التي تكون منارة له ، فقد رأى في النموذج اليوناني القدوة في ذلك ، داعيًا إلى الاقتداء به ؛ فيقول: " وانقسمت المعارف اليونانية إلى شعبتين: الشعبة الأفلاطونية وأصحابها يُدعون الإشراقيين[٤]، والشعبة

---

(١) أليس الصبح بقريب ، الطاهر بن عاشور، (ص١٠).

(٢) ماجد فخري، دراسات في الفكر العربي، (ص١٤-١٥)، ط دار النهار، بيروت، ١٩٧٠م ـــ أ/ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، (ص٢٤٧-٢٨٥، ٢٤٨)، ط دار القلم، بيروت.

(٣) أليس الصبح بقريب ، الطاهر بن عاشور، (ص١٥).

(٤) الحكماء الإشراقيون: رئيسهم أفلاطون. وهو طريق التصوف كشف سلوك قلبي ومجاهدات للنفس، الحكماء المشاؤون: رئيسهم أرسطو. وهو طريق النظر والاستدلال، معجم التعريفات، الشريف الجرجاني، (ص٩٢).

الأرسطاليسية وأصحابها يُدعون المشَّائين ، فكان لليونان من نظام التعليم والمدارس وتقاسيم العلوم ، ما كان قدوة للأمم من بعدهم " (١).

على الرغم من أن البداية الحقيقية للترجمة كانت في أواخر القرن الأول الهجري بتشجيع من خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان(٢) ، فإنها نشطت في حكم العباسيين ، " ولعل الحاجة الماسة إلى الفلسفة هي التي دفعت المنصور إلى تشجيع الترجمة ، فقد كان صديقًا لعمرو بن عبيد رئيس المعتزلة في وقته عظيم الاحترام له " (٣).

ثم ما لبثت أن بلغت حركة ترجمة الكتب اليونانية أوج ازدهارها إبان عصر المأمون ؛ إذ " أوسع المأمون خطاه في طلب العلوم الرياضية ، وترجمتها والفلسفة العملية والنظرية " (٤).

فكان ذلك مظهرًا على حضارتهم ورقيِّهم ، وهو ما شهد به الشيخ ابن عاشور بقوله: " تُرجمت في هاته النهضة كتب أرسطوطاليس في الفلسفة " (٥).

---

(١) أليس الصبح بقريب ، الطاهر بن عاشور، (ص١٥).

(٢) الفهرست، أبو الفرج محمد البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ) (المقالة العاشرة/ ٤٣٤)، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان ــ الثانية ــ ١٤١٧هـ – .

(٣) علم الكلام ومدارسه، فيصل بدير عون، (ص١٩١)، ط دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ــ الأولى ــ ١٩٧٦م.

(٤) أليس الصبح بقريب ، الطاهر بن عاشور، (ص٣٤).

(٥) المصدر السابق ، (ص٣٥).

وإن كان لا ينسى في هذا المقام الإشارة إلى الأثر السلبي الذي خلفته حركة الترجمة من ظهور النحل والعقائد المختلفة [١] ، لكن يبقى لتلك الحركة مكانتها في الوقوف على ما لدى أمة اليونان من علوم: نظرية وعملية، استطاع علماء المسلمين الإفادة منها ، فضلًا عن التسلح ببراهينها المنطقية في تثبيت العقيدة في نفوس أصحابها من جانب ، والدفاع عنها من مطاعن أعدائها.

بلغة ملؤها الثقة بعلوم الحكمة، وبنبرة تحمل في طياتها نوعًا من المبالغة شيئًا ما ، ينطلق الشيخ في التصريح بأسلوب واضح لا لبس فيه ، بأن تمدن الأمة العربية مرهون بالتقدم في العلوم الدنيوية لاسيما علم الحكمة ، وأنه من الخطأ التوهُّم أن التقدم في تلك العلوم ينشأ عنه تأخر في الدين ، والحال أن الواقع بالعكس كما يقول: " فإن الدين إنما تقهقر عند تأخر المسلمين في تلك العلوم ، أما عند تقدمهم ؛ فقد كان له مزيد قوة وتمكن كما كان في الدول البغدادية والأندلسية ، وعلومهم الدنيوية والدينية لم تزل مشهورة الأخبار مشهودة الآثار " [٢].

٤) ــ قد تأثر الطاهر بالعلماء المسلمين الذين تأثروا بالتراث اليوناني:

وهي متممة لسابقتها ؛ إذ كان حريصًا على بيان جهود العلماء المسلمين الذين حملوا لواء الدفاع عن العقيدة الإسلامية وتحصينها ضد مطاعن أعدائها وشبهاتهم ، متسلحين في ذلك بطرق الاستدلال المنطقي المستمدة من المنطق الأرسطي –كما يقول–: " أمثال الباقلاني وإمام الحرمين والغزالي ، وطارت

(٢) أليس الصبح بقريب ، الطاهر بن عاشور ، (ص٣٥).

(٣) المصدر السابق، (ص٩٥).

سمعتهم في الآفاق ، فصار طلبة العلم ينتحلون طريقتهم ويتشبهون بهم ، وإن هاته الحالة قد اقتبست من طريقة الفلاسفة ، وهذه حالة محمودة جدًا " (١).

وقد كان ذلك دأب فلاسفة الإسلام في طلب الحق ، وإن كان لدى أناس لا تربطنا بهم حدود جغرافية أو كانوا مباينين لهم في العقيدة ، يوضحه قولُ الكندي: " وينبغي أن لا نستحي من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة لنا فإنه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق ،وليس ينبغي بخس الحق، ولا تصغيرٌ بقائله ولا بالآتي به " (٢).

وقد نسج الشيخ على منوال الكندي في القول بأنه لا ضير في الاستفادة من علوم من سبقونا وإن كانوا غير مسلمين طالما لا تتعارض في ذلك مع أصول ديننا ، يؤكده قولُه: " لا نتحرج أن نستفيد بعض تلك المعارف من كتب غير إسلامية كما أخذ أسلافنا من كتب اليونان " (٣).

٥) ـ تصنيف علوم الفلسفة عند الطاهر بن عاشور:

يحذو الشيخ ابن عاشور حذو أرسطو وشراحه من الإسكندرانيين، فضلًا عن فلاسفة الإسلام من أمثال ابن سينا(٤) ؛ في تصنيف علوم الفلسفة ؛ إذ يقسمها – كما هي عندهم– إلى قسمين: فلسفة عملية غايتها الخير، وفلسفة نظرية غايتها الحق ، يظهر ذلك جليًا في إشارة منه إلى رعاية المأمون لحركة الترجمة ، التي

(١) أليس الصبح بقريب ، الطاهر بن عاشور ، (ص٣٨،٦٨،٦٩).
(٢) رسائل الكندي الفلسفية، (القسم الأول، ١٠٣).
(٣) أليس الصبح بقريب ، الطاهر بن عاشور، (ص٩٧).
(٤) تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، ابن سينا، (ص١٠٨ـ١٠٥).

عنيت بنقل التراث اليوناني إلى اللسان العربي عبر اللسان السرياني ، قائلًا: " فأوسع المأمون خطاه في طلب العلوم الرياضية وترجمتها والفلسفة العملية والنظرية " [١] وبذلك يظهر كون لفظ الحكمة والفلسفة لديه مترادفتين كما هو الحال عند ابن سينا ، وقد سبقت الإشارة إليه.

وهو إذ يقسم علوم الفلسفة إلى قسمين كبيرين: أحدهما: عملي، والآخر: نظري ، فإنه يندرج تحت كل واحد منهما علوم فرعية ، فالفلسفة العملية يندرج تحتها ثلاثة علوم هي: الأخلاق ، وعلم تدبير المنزل ، والسياسة ، أما علوم الفلسفة النظرية ، فهي ثلاثة علوم: أسفل وهو العلم الطبيعي ، وأوسط ، وهو العلم الرياضي ، وأعلى وهو العلم الإلهي ، وبيان ذلك التقسيم على النحو الآتي:

يؤكد ذلك الشيخ في قوله: " فأما الحكمة العملية ؛ فهي المتعلّقة بما يصدر من أعمال الناس ، وهي تنحصر في تهذيب النفس ، وتهذيب العائلة ، وتهذيب الأمة ، والأول: علم الأخلاق وهو التخلّق بصفات العلوّ الإلهيّ بحسب الطاقة البشرية ، فيما يصدر عنه كمال في الإنسان ، والثاني: علم تدبير المنزل ، والثالث: علم السياسة المدنية والشرعية.

وأما الحكمة النظرية ؛ فهي الباحثة عن الأمور التي تعلّم، وليست من الأعمال ، وإنّما تعلم ؛ لتمام استقامة الأفهام والأعمال ، وهي ثلاثة علوم: علم يلقّب بالأسفل ، وهو الطبيعيّ ، وعلم يلقّب بالأوسط ، وهو الرياضيّ ، وعلم يلقّب

(١) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، (ص٣٤) ـ التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٦١/٣).

بالأعلى ، وهو الإلهيّ ، فالطبيعيّ يبحث عن الأمور العامة للتكوين والخواصّ والكون والفساد ، والرياضيّ الحساب والهندسة والهيأة (الهيئة) والموسيقى، ويندرج تحته الجبر والمساحة والحيل المتحركة (الماكينة) وجرّ الأثقال ، وأما الإلهيّ فهو خمسة أقسام: معاني الموجودات ، وأصول ومبادئ ، وهي المنطق ومناقضة الآراء الفاسدة ، وإثبات واجب الوجود وصفاتهِ ، وإثبات الأرواح والمجرّدات ، وإثبات الوحي والرسالة ، وقد بيّن ذلك أبو نصر الفارابي وأبو علي ابن سينا" [١].

والشيخ إذ يقسّم علوم الفلسفة هذا التقسيم ، يدرك جيدًا وجود علوم نقلية مصدرها الوحي لا يمكن تجاهلها ، بل يراها مفضلة على غيرها ، ولعله في ذلك يتفق مع نهج الخوارزمي في كتابه: (مفاتيح العلوم) ؛ إذ يفصل علوم الدين عن العلوم البحتة والفلسفية ، التي يسميها علوم العجم[٢] ، وكذلك فعل كل من الفيلسوف الفارابي في كتابه: (إحصاء العلوم)[٣] وابن خلدون في كتابه: (المقدمة) فقسَّم العلوم قسمين كبيرين: عقلية ، وهي علوم الحكمة والفلسفة ، وعلوم نقلية أو شرعية أو دينية[٤].

تعد مسألة التوفيق بين الشريعة والفلسفة من المسائل الرئيسة في تاريخ الفلسفة

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (٦٢/٣).

(٢) مفاتيح العلوم، الخوارزمي، (ص١ ــ١٥٣)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ــ الثانية ــ١٩٨٩م.

(٣) إحصاء العلوم، الفارابي، (ص٧٥،٧٩)، تحقيق: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت ــ الأولى ــ ١٩٩٦م.

(٤) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون،(٢٤٨/٢)، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق ــ الأولى ــ ٢٠٠٤م.

الإسلامية ، تسابقت إليها همم الفلاسفة المسلمين منذ الفيلسوف الكندي الذي يُعد " أول من سن للفلسفة سُنّة التوفيق بينها وبين الإسلام " [١] ربما تكون قد اختلف مبرراتهم في ذلك ، لكن تضافرت جهودهم حول هدف واحد يرونه جديرًا بالالتفاف حوله ،ألا وهو إيجاد بيئة قابلة لتعلُّم وتعليم الفلسفة ، ولن يتحقق ذلك إلا بإقناع الآخرين بها ،انطلاقًا من كونها لا تتعارض مع الدين ، بل تتعاون معه في إعلاء قيم الحق والخير ، فضلًا عن ترسيخ ثوابت الدين والدفاع عنها.

وفي (صحيح البخاري) أن عمران بن حُصين قال: قال رسول الله ـﷺـ: **(الحياء لا يأتي إلا بخير)** فقال بُشير بن كعب العدوي: مكتوب في الحكمة إن من الحياء وقارًا وإن من الحياء سكينة ، فقال له عمران: أحدثك عن رسول الله ـﷺـ وتحدثني عن صحيفتك؟ " [٢].

وعليه تكون الحكمة في القرآن والسُنّة جامعة بين النقل ووسيلته الوحي واختصاصه بالنبوة والرسالة وبين العقل واختصاصه بالحكيم –والفيلسوف في مذهب الفلاسفة– فكلاهما يهدف إلى الصلاح وتهذيب النفوس ؛ وبذلك يمكن الجمع بينهما ؛ إذ أن الحق لا يضاد الحق.

(١) الفلسفة الإسلامية، أحمد فؤاد الأهواني، (ص٦٨).

(٢) صحيح البخاري ، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، (باب الحياء/ح ٦١١٧ / ص٩٨٠) ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، راجعة لغوياً: أحمد محمد معوض ، مكتبة فياض للطباعة والنشر والتوزيع، (د ـ ت).

تعقيب:

أن ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور في التوفيق بين الدين والفلسفة مجهود مشكورا عليه ، فقد اتبع فلاسفة وعلماء الإسلام في ذلك ، وأنه لا تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح بل يكون بينهما توافقٌ.

الدليل على ذلك.

قد أكد ابن حزم على التوفيق بين الدين والفلسفة والدليل أن غاية الفلسفة والدين واحده هو صلاح النفس الإنسانية وحثها على الفضائل فيقول: " الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها ليس هو شيئا غير إصلاح النفس بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد وحسن السياسة للمنزل والرعية وهذا نفسه لا غيره هو الغرض في الشريعة هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة ولا بين أحد من العلماء بالشريعة " (١).

قول الدكتور محمد عبد الله دراز في التوفيق بين الدين والفلسفة

لأن موضوع الدين هو بعينه موضوع وغاية الفلسفة فكلاهما مطلبه كلي وواحد فيقول: " اليس موضوع الفلسفة هو نفسه موضوع الدين؟ أو ليست المشكلة التي تعالجها الفلسفة هي بعينها المشكلة التي انتدبت الأديان لحلها؟ فمطلب الفلسفة هو معرفة اصل الوجود وغايته ، وعرفة سبيل السعادة الإنسانية في العاجل

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ، (١/ ٧٩)الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

والآجل هذان هما موضوعا الفلسفة بقسميها العلمي والعملي ، وهما كذلك موضوعا الدين بمعناه الشامل للأصول والفروع " [١].

قول الدكتور محمود حمدي زقزوق في الارتباط الوثيق بين الدين والفلسفة: " وإذا كانت الفلسفة هي الام التي تفرعت عنها سائر العلوم الجزئية، فإنها من ناحية أخرى قد شبت وترعرعت في حضن الدين. فقد كان الارتباط بين كل من الفلسفة والدين ارتباطاً وثيقاً منذ القدم، حيث كان التفكير الفلسفي ممتزجاً بالتفكير الديني " [٢]. فالفلسفة بنت الدين وأم العلم فيقول: " إن الفلسفة هي بنت الدين وأم العلم من حيث إن الدين هو الذي مهد لها في حين أنها هي التي أنتجت العلم " [٣].

(١) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، الدكتور محمد عبد الله دراز، (ص ٥٩ ــ ٦٠)، دار القلم الكويت، ١٣٧١هـ ــ ١٩٥٢م.

(٢) تمهيد للفلسفة ، د . محمود زقزوق، (ص ٧٨).

(٣) المرجع السابق، (ص ٧٨).

المبحث الرابع: المدينة الفاضلة عند الطاهر بن عاشور

عرض المدينة الفاضلة عند الطاهر وذلك من خلال عرض أن الإنسان كائن اجتماعي في القرآن والسنة وعند الفلاسفة وعرض المدينة الفاضلة عنده.

المطلب الأول: الإنسان كائن اجتماعي.

أولا: القرآن الكريم

الإنسان كائن اجتماعي بالطبع ومعنى ذلك أنه لا يستطيع العيش في الدنيا وحيدا ولذلك شرع الله تعالى الزواج ليكون سكناً للإنسان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (١). ثم أشار إلى فلسفة تصنيف الناس إلى شعوب وقبائل ليتعارفوا بينهم ، وان الفضل بين البشر في التقوى فالتقوى لا تُعتبرُ مسألة أخلاقية فحسب ، بل مسألة اجتماعية وهي أساس المجتمع قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ (٢). ورفع الله تعالى بعضنا فوق بعض درجات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ (٣).

ثانياً: السنة.

وقد حث النبي المصطفى ـ ﷺ ـ على الإنسان ككائن اجتماعي وأن المسلم أخو المسلم وهم كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « المؤمن للمؤمن

(١) سورة الروم الآية رقم (٢١).
(٢) سورة الحجرات الآية رقم (١٣).
(٣) سورة الزخرف الآية رقم (٣٢).

كالبنيان يشد بعضه بعضا »[١]. وحرم الظلم ومساعدة الغير قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » [٢].

ثالثاً: الفلاسفة.

لقد اهتم الفلاسفة قديما وحديثاً بالإنسان ككائن اجتماعي وهو ما يعرف عند الفلاسفة بالمدينة الفاضلة فتكامل الإنسان معنوياً ومادياً ، في العلوم والمعارف ، الحضارات والصناعات ، الآداب والتقاليد ، يحصل من خلال الحياة الجماعية ، وفيما يلي نعرض بعض النماذج لبعض الفلاسفة.

المدينة الفاضلة التي نادى بها أفلاطون[٣] في كتابه جمهورية افلاطون كانت ولا تزال أساساً متيناً ومصدراً مهماً لكل المدن الفاضلة التي كتبها الفلاسفة من بعده . إن كل فيلسوف يبني حضارته ، ويعالج مشكلات عصره ، على أن

(١) صحيح البخاري، (كتاب الصلاة/ باب تشبيك الأصابع في المسجد، ح ٤٨١/ ص ٨٥).

(٢) صحيح البخاري، (كتاب المظالم والغصب/باب لا يظلم المسلم المسلم/ ح٢٤٤٢ /ص٣٧٢).

(٣) أفلاطون فيلسوف يوناني ولد في أثينا عام ٤٢٨ قبل الميلاد وتوفى سنة ٣٤٧ قبل الميلاد تتلمذ على يد سقراط وله مراجع كثيره أهما كتاب جمهورية افلاطون، وقام برحلة حول العالم وترك اليونان راجع كتاب جمهورية افلاطون، إعداد: أحمد المنياوي، (ص ١٧، ١٨)، المراجعة: عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الكتاب العربي ــ الأولى ــ ٢٠١٠م.

كل واحد منهم ، على اختلاف المكان الذي وجد فيه والعصر الذي عاش تحت ظل ثقافته ، فإنه يستقي الإلهام من جمهورية أفلاطون [١].

وهذه المدينة هو كما قال أفلاطون: " ولعل من ميزة الإنسان ، أنه منذ أن غادر حياة الغابة ،وهو يحاول أن يحقق حياة هنيئة ، كي ينعم بالأمن والرفاه والسلام. لجأ إلى الكهوف في أول أمره ، ومارس الصيد ، وما لبث أن احترف الزراعة وابتنى البيوت ،ليؤسس المدينة على وجه الأرض. لم يقف الإنسان عند حد معين في طموحه ، من أجل الارتقاء ، والعيش في حالة معينة ، تسبغ عليه السعادة في جميع مناحي الحياة. إنه فكر في المدينة الفاضلة ،التي تتميز بتقديم الخيرات للإنسان، وتبعد عنه الشرور. وجدير بالذكر، أن الذين فكروا أو حلموا للوصول بالإنسان،أن يحيا في المدينة الفاضلة ،هم الفلاسفة ...، هؤلاء الفلاسفة الذين لهم بكل تقدم وعمران ، شغلهم الفكر في أمور الارتقاء بالإنسان " [٢].

المدينة الفاضلة عند الفارابي.

يعرض الفارابي المدينة الفاضلة فيقول: الإنسان مدني بطبعه ، وليس من الممكن أن يبلغ كمالاً مَا إذا عاش منفرداً دون معاونة الناس. فإن الإنسان مفطور في بلوغ أفضل كمالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكنه القيام بها وحده، فالاجتماع وسيلة لبلوغ الكمال، والحياة ضمن المجتمعات تهيء الإنسان لنيل السعادة التي هي غاية الفرد. والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد هو وسيلة السعادة ، وبه تنال ،

(١) جمهورية افلاطون، إعداد: أحمد المنياوي، (ص ٣٨).

(٢) المصدر السابق، (ص ٣٥).

وتصير المدينة فاضلة ؛ وبه أيضاً تصير الأمة التي هي مجموعة من المدن أمة فاضلة ، فالمدينة الفاضلة أشبه بجسم الإنسان كل عضو من أعضائه يعمل بعمل معين، فإذا قام كل عضو بعمله على وجهه الأكمل صار الجسم في مجموعة صحيحاً ، وكذا المدينة الفاضلة فطر أفرادها بفطر متفاضلة ، ووجهتهم إرادتهم نحو فعل الخير، وبذا تصبح المدينة سعيدةوكما أن القلب هو العضو الرئيسي في البدن تخدمه جميع الأعضاء ، فكذا المدينة الفاضلة ، فيها مراتب ورئاسات تبدأ بالرئيس الأعلى،إلى ما دونها [١].

وهناك مدن أخرى عند الفارابي مضادة للمدينة الفاضلة مثل المدينة الجاهلية، والفاسقة، والمتبدلة، والضالة ، والخسة والسقوط، وغير ذلك [٢] ولكن هذه المدن لم يذكرها الطاهر بن عاشور.

(١) اراء أهل المدينة الفاضلة الفارابي، د/ البرت نصري نادر، (ص ١١٧ ــ ١١٨، وص١٢٧)، ط دار المشرق بيروت لبنان ــ الثانية ــ ١٩٨٦م.

(٢) المرجع السابق، (ص١٣١ ـ ١٣٤)

المطلب الثاني: المدينة الفاضلة عند الطاهر بن عاشور.

قد أهتم الطاهر بن عاشور بالتوفيق بين الدين والفلسفة ومن أهم الموضوعات التي اهتم بها المدينة الفاضلة عند الفلاسفة التي قد ناشد بها الفلاسفة بداية بأفلاطون حتى فلاسفة الإسلام بتحقيق العدالة الاجتماعية في هذه المدينة وتوفير السعادة لسكانها ، ولا ينسى ابن عاشور في حديثه عن مظاهر التوفيق بين الوحي والعقل ، الإشارة إلى أسبقية الوحي إلى نشدان المدينة الفاضلة التي تسابق الفلاسفة –منذ أفلاطون في جمهوريته– على وضع الأسس التي تقوم عليها ، والآداب التي تحلَّى بها سكانها ، يظهر ذلك في قوله: " ومقصد إبراهيم من دعوته هذه أن تتوفر لأهل مكة أسباب الإقامة فيها، فلا تضطرهم الحاجة إلى سُكنى بلد آخر لأنه رجا أن يكونوا دعاة لما بنيت الكعبة لأجله من إقامة التوحيد وخصال الحنفية وهي خصال الكمال ، وهذا أول مظاهر تكوين المدينة الفاضلة التي دعا أفلاطون لإيجادها بعد بضعة عشر قرنًا " [(١)].

وقد أنزل الطاهر بن عاشور المدينة الفاضلة التي كان يتخيلها الفلاسفة في أوهامهم ويريدون تحقيقها في الواقع حيث تحققت بالفعل على يد النبي المصطفى ـ ﷺ ـ في " المدينة " على يديه وقد تبعه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولذلك يقول: " ومن أجل ذلك لم يزل الحكماء الأقدمون يبذلون الجهد في إيجاد المدينة الفاضلة التي وصفها (أفلاطون) في «كتابه» ، والتي كادت أن تتحقق صفاتها

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،(٧١٦/١).

في مدينة (أثينة) في زمن جمهوريتها ، ولكنها ما تحققت بحق إلا في مدينة الرسول ـ ﷺ ـ في زمانه وزمان الخلفاء الراشدين فيها " [١].

ومن صفات هذه المدينة الفاضلة أنها تقوم على الحق وصلاح سكانها في الدنيا والآخرة وأن القرآن هو قانون ذلك الملك وسكان هذه المدينة ولذلك يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٢]:

" والجمع بين اسم الجلالة واسمه {الْمَلِكُ} إشارة إلى أن إعظامه وإجلاله مستحَقّان لذاته بالاسم الجامع لصفات الكمال، وهو الدال على انحصار الإلهيّة وكمالها، ثم أتبع بـ{الْحَقُّ} للإشارة إلى أن تصرفاته واضحة الدلالة على أن ملكه ملك حق لا تصرف فيه إلّا بما هو مقتضَى الحكمة، والحق: الذي ليس في ملكه شائبة عجز ولا خضوع لغيره، وفيه تعريض بأن ملك غيره زائف ، وفي تفريع ذلك على إنزال القرآن إشارة أيضًا إلى أن القرآن قانون ذلك الملك ، وأن ما جاء به هو السياسة الكاملة الضامنة صلاح أحوال متبعيه في الدنيا والآخرة " [٣].

وأن هذه المدينة الفاضلة مدينة المصطفى ـ ﷺ ـ تقوم على الصلاح وأن سورة البقرة كانت من أغراضها تصفية وصلاح هذه المدينة وتأسيسها وبعدها عن المفاسد والبعد عن الدجل ولذلك يقول: " وقد عدت سورة البقرة السابعة والثمانين في ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة المطففين وقبل آل عمران وإذ قد كان نزول هذه السورة في أول عهد بإقامة الجامعة الإسلامية واستقلال أهل الإسلام بمدينتهم

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ، (٨ ـ أ / ٠ ٤٨).

(٢) سورة طه الآية رقم (١١٤).

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،(٣١٦/١٦).

كان من أول أغراض هذه السورة تصفية الجامعة الإسلامية من أن تختلط بعناصر مفسدة لما أقام الله لها من الصلاح سعيا لتكوين المدينة الفاضلة النقية من شوائب الدجل والدخل " [١].

أوصاف سكان المدينة الفاضلة هم:

أولاً: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

يذكر الطاهر أوصاف أهل المدينة الفاضلة هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر عند تفسيره قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٢] فيقول: " وهم أهل العصر الأول من المسلمين فيكون المعنى: ولتكونوا أمة يدعون إلى الخير فهذه الأمة أصحاب هذا الوصف قد أمروا بأن يكونوا من مجموعهم الأمة الموصوفة بأنهم يدعون إلى الخير، والمقصود تكوين هذا الوصف ، لأن الواجب عليهم هو التخلق بهذا الخلق فإذا تخلقوا به تكونت الأمة المطلوبة. وهي أفضل الأمم. وهي أهل المدينة الفاضلة المنشود للحكماء من قبل، فجاءت الآية بهذا الأمر على هذا الأسلوب البليغ الموجز " [٣].

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ،(٢٠٢/١).

(٢) سورة آل عمران الآية رقم (١٠٤)

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،(٣٨/٤).

ثانـياً: ومن أوصاف أهل المدينـة الفاضلة عدم التكبـر.

ومن أوصاف أهل المدينة الفاضلة عدم التكبر ويذكر تكبر إبليس على سيدنا آدم ـ عليه السلام ـ مثالاً ولذلك يقول الطاهر بن عاشور عند تفسيره قوله تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [1] " وقوله: فما يكون لك أن تتكبر فيها الفاء للسببية والتفريع تعليلا للأمر بالهبوط ، وهو عقوبة خاصة عقوبة إبعاد عن المكان المقدس ، لأنه قد صار خلقه غير ملائم لما جعل الله ذلك المكان له ، وذلك خلق التكبر لأن المكان كان مكانا مقدسا فاضلا لا يكون إلا مطهرا من كل ما له وصف ينافيه وهذا مبدأ حاوله الحكماء الباحثون عن المدينة الفاضلة " [2].

ثالثاً: ومن أوصاف أهل المدينـة الفاضلة عدم الكذب وخالصة من النـقائص.

ومن أوصاف أهل المدينة الفاضلة عدم الذب وأن يكونوا خالصين من النقائص والمعاصي ولذلك يقول الطاهر بن عاشور: " في نفي معصية الكذب والقذف والمؤمنون يودون أن تكون جماعتهم خالصة من النقائص (فإنهم أهل المدينة الفاضلة) " [3].

وعليه فإن ذلك تأكيد منه أن ما جاء به الوحي يحقق –إن التزم به أتباعه– المدينة الفاضلة ، التي تجسدت في دولة المدينة التي أقامها النبي ـ ﷺ ـ على

(١) سورة الأعراف الآية رقم (١٢ـ١٣)

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (٨ ـ ب / ٤٤).

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،(١٨ / ١٧٢).

الرغم من التنوع الثقافي والعقدي لساكنها ، وهو ما يؤكد –في الوقت نفسه– حقيقة الترابط الوثيق بين الدين والدولة ، وأن إقامة الدولة جزء أصيل ومهم من مهمات الدين ، لا ينفصل عنها ، ولا تنفصل عنه ، كما أن إقامة الدين يحتاج إلى دولة تؤمن ثوابته وفروعه، وترعى شؤونه ، وتقوم على تلبية حقوق مواطنيها بما لا يقدح في عقيدته وشريعته.

تعقيب:

ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور في المدينة الفاضلة ، وأنها تحققت بالفعل على يد النبي المصطفى ـ ﷺ ـ في المدينة على يديه وقد تبعه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومن صفات هذه المدينة الفاضلة أنها تقوم على الحق وصلاح سكانها في الدنيا والآخرة وأن القرآن هو قانون ذلك الملك ، فهي تحققت بالفعل على يد النبي المصطفى ـ ﷺ ـ وأصحابه.

الدليل على ذلك.

أولاً: الهدف من بناء المدينة الفاضلة العدل. كما قال أفلاطون إن العدالة قائمة على الطبيعة وليست على العرف لذلك يريد بناء مدينة على أسس عدالة متينة. فقد حقق النبي المصطفى ـ ﷺ ـ هذه الغاية فقد أمر الله تعالى بالعدل في كل شيء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ (١) ، وحرم الله ـ عز وجل ـ الظلم. فعن النبي ـ ﷺ ـ ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي،

(١) سورة النساء الآية رقم (٥٨).

وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته،.... » [١].

ثانياً: هدف المدينة الفاضلة تحقيق السعادة في الدنيا. وقد حقق النبي ـ ﷺ ـ السعادة لأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ وللأمة الإسلامية في الدنيا والآخرة بالإسلام وشرح صدورهم به قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [٢]، ومن يبتغي غير الإسلام دين فلن يقبل منه وليس له سعادة في الآخرة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [٣].

ثالثاً: صفات الرئيس في المدينة الفاضلة. لا تتحقق إلا في شخصية المصطفى ــ ﷺ ــ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [٤]، فمن صفاته الصادق الأمين، يعدل بالحق، الرحمة، ينصف المساكين. وينتصف للمستضعفين في الأرض، ذكي ، فهو نبي جامع لجميع

(١) صحيح مسلم، مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،(كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم الظلم/ ح ٢٥٧٧ /ص ٩٣٨)، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه لغوياً: أحمد محمد معوض ، مكتبة فياض للطباعة والنشر والتوزيع(د ـ ت).

(٢) سورة الزمر الآية رقم (٢٢).

(٣) سورة آل عمران الآية رقم (٨٥).

(٤) سورة آل عمران الآية رقم (١٥٩)

صفات الأنبياء السابقة: بينهم واعظ كسليمان ومبشر كعيسى ، ومنذر كنوح ومنقذ كموسى ومناظر كإبراهيم ، ومجاهد كداود ، ولكن انظروا: هذه الصفات كلها قد اجتمعت في ذات النبي ـ ﷺ ـ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ (١).

رابعاً: الجنود وقد تحققت صفات الجنود في صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ . من الشدة والقوة على الكفار، وهم من قال فيهم الله ـ عز وجل ـ في صفاتهم ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ (٢).

خامساً: سكان المدينة الفاضلة فطر أفرادها بفطر متفاضلة ، ووجهتهم إرادتهم نحو فعل الخير، وبذلك تصبح المدينة سعيدة ، فقد تحققت في أمة النبي ـ ﷺ ـ فكانت خير أمة أخرجت للناس قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ

(١) سورة الأحزاب الآية رقم (٤٥ــ٤٦) ــ رحمة للعالمين، محمد سليمان المنصور فوري (المتوفى: ١٣٤٨هـ)، (ص ٣٩)، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض ــ الأولى ــ ١٩٩٨م.

(٢) سورة الفتح الآية رقم (٢٩).

تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾[1]. فهم أمة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2].

(١) سورة آل عمران الآية رقم (١١٠).

(٢) سورة آل عمران الآية رقم (١١٣- ١١٤).

الخاتمة

بعد أن استعرضنا تأملات فلسفية في فكر الطاهر بن عاشور. أمكننا التوصل إلى عدة نتائج تجمل أهمها فيما يلي:ـ

أولاً) ـ ذهب الطاهر بن عاشور مذهب الفلاسفة المسلمين وأنه ليس هناك اختلاف بين الدين والفلسفة ، فالفلسفة مكملة وموضحة للدين وقد أمر الله ـ عز وجل ـ بالتفكر والنظر، وبين الطاهر بن عاشور ذلك من خلال عرضه الحكمة والفلسفة ككلمتين مترادفتين وهذا هو منطوق الفلسفة ؛ ولذلك اهتم بعرض تعريف الحكمة لغة واصطلاحاً ، وبداية ظهور الحكمة ، وذهب إلى أن أصل نشأة الفلسفة الشرق القديم ، ثم اليونان قامت بتنظيمها وصححت هذا الأصل ، فبذرة الفلسفة الشرق ثم نمت وكبرت اليونان ، ومفهوم الفلسفة عند الطاهر هو إنارة العقل ومعرفة الحق.

ثانياً) ـ التوفيق بين الدين والحكمة هو التوفيق بين ما جاء به الوحي وبين أقوال الفلاسفة من إعمال العقل ، فذكر الطاهر بن عاشور دوافع التوفيق بين الحكمة والدين ، وأن هذه دعوة الإسلام وأنه لا تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح ، وذكره دائما كلام الفلاسفة والاستشهاد به في أغلب من مواضع ، ومن خلال تصنيف العلوم ، فتصنيفه للعلوم مثل تصنيف العلماء المسلمين فهو يجمع بين العلوم النظرية والعملية ، ويجمع بين علوم الدين والفلسفة كما هو دأب علماء المسلمين.

ثالثاً) ـ المدينة الفاضلة عند الطاهر بن عاشور وذلك من خلال عرض أن الإنسان كائن اجتماعي بالطبع ولا يستطيع العيش في الدنيا وحيدا وقد أكد على ذلك القرآن فشرع الله تعالى الزواج ، وتصنيف الناس شعوب وقبائل وأن التفاضل في التقوى ، وفي السنة وأن المسلم أخو المسلم وأنه يشد بعضه بعضا كالبنيان

الواحد ، وعند الفلاسفة ، وعرض المدينة الفاضلة عند الطاهر بن عاشور وأنها تحققت بالفعل على يد النبي المصطفى ـ ﷺ ـ في المدينة وقد تبعه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ .

رابـعاً) ــ التوصيات: أوصي الباحثين بضرورة البحث في موقف الطاهر بن عاشور من الفرق غير المسلمة من اليهود والنصارى والمجوس ، فذكر غلاة اليهود والنصارى الذين صدهم غلوهم في دينهم وقولهم على الله غير الحق عن اتباع النبيء ــ ﷺ ــ ، والمجوس فرق متفاوتة في بغض المسلمين، مثل المجوس والصابئة وعبدة الأوثان.

وأوصي الباحثين بضرورة البحث في جهود الطاهر بن عاشور في نهضة الفكر العربي وذلك من خلال كتابه أليس الصبح بقريب ، فذكر فيه تاريخ المعارف البشرية قديما وحديثاً ، فأفاض في بيان أسباب تأخر العلوم وطرق تدريسها في العالم العربي عامة، وفي جامعة الزيتون خاصة....، ثم عرض طريقته للإصلاح التربوي والتعليمي ، بجرأة وإخلاص ، فأبان عن نظرة استشرافية منيرة ، وإحاطة وفهم للشريعة والواقع ، فخط بذلك للأمة الإسلامية طريقاً للنهوض والإصلاح ، ورسم لها منهجاً قويماً للنمو والفلاح.....

وأخيرا) ــ يرى الباحث: أن الطاهر بن عاشور قد كان محبا للفلسفة والفلاسفة وهذا واضح من خلال اهتمامه بها وبأقوال الفلاسفة سواء فلاسفة اليونان وفلاسفة الإسلام ، وقد قام بالتوفيق بين الدين والفلسفة وبين أقوال الحكماء والشريعة الإسلامية وقد وضح أن الشريعة الإسلامية قد أمرت بذلك فهو بهذا قد كان منصفا للفلسفة والفلاسفة فاللهم ارحمه ووسع في قبره واجعله روضة من رياض الجنة وبارك في علمه يارب العالمين.

المراجع والمصادر

١) ـ إحصاء العلوم ، الفارابي ، تحقيق: علي بو ملحم ، ط دار ومكتبة الهلال ، بيروت ـ الأولى ـ ١٩٩٦م.

٢) ـ آراء أهل المدينة الفاضلة الفارابي ، د/ البرت نصري نادر، ط دار المشرق بيروت لبنان ـ الثانية ـ ١٩٨٦م.

٣) ـ أسس الفلسفة، د/توفيق الطويل،مكتبة النهضة المصرية ـالثالثة ـ(دـ ت).

٤) ـ أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ـ تونس ـ الثانية ـ ١٩٨٥م.

٥) ـ أعلام تونسيون ، تأليف: الصادق الزّمرلي ، تقديم وتعريب: حمادي الساحلي، الناشر: دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ الأولى ـ١٩٨٦م.

٦) ـ الأعلام، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد علي بن فارس الزركلي الدمشقي ، (ت١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين ـ الخامسة عشر ـ مايو ٢٠٠٢م.

٧) ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تأليف: أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري ، تحقيق: جعفر الناصري ، محمد الناصري، الناشر: دار الكتاب ـ الدار البيضاء ـ ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م.

٨) ـ أليس الصبح بقريب ، تأليف: الإمام: محمد الطاهر بن عاشور ، الناشر: دار سنحون للنشر والتوزيع بتونس ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ـ الأولى ـ١٤٢٧هـ ـ٢٠٠٦م.

٩) ـ تراجم المؤلفين التونسيين ، محمد محفوظ (المتوفى: ١٤٠٨هـ) ، الناشر: دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ـ الثانية ـ ١٩٩٤ م.

١٠) ـ تحصيل السعادة ، الفارابي ، قدَّم له د/ علي بو ملحم ، الناشر/ دار ومكتبة الهلال ، بيروت ـ الأولى ـ ١٩٩٥م.

١١) ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ط دار القلم بيروت ـ (د ـ ت).
١٢) تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات ، ابن سينا ، دار العرب للبستاني ، القاهرة ـ الثانية ـ.
١٣) ـ تمهيد للفلسفة ، د / محمود حمدي زقزوق ، ط دار المعارف ـ الخامسة ـ١٩٩٤م.
١٤) ـ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر– تونس ، ١٩٨٤هـ.
١٥) ـ جمهورية افلاطون ، إعداد: أحمد المنياوي، المراجعة: عبد الرؤوف سعد ، الناشر: دار الكتاب العربي ـ الأولى ـ ٢٠١٠م.
١٦) ـ دراسات في الفكر العربي ، ماجد فخري ، ط دار النهار ـ بيروت ـ ١٩٧٠م.
١٧) ـ الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ، الدكتور محمد عبد الله دراز ، ط دار القلم، الكويت ـ ١٣٧١هـ ـ١٩٥٢م.
١٨) ـ رحمة للعالمين ، محمد سليمان المنصور فوري (المتوفى: ١٣٤٨هـ) ، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع ـ الرياض ـ الأولى ـ ١٩٩٨م.
١٩) ـ الرسائل الفلسفية، أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (١٨٥هـ ـ ٢٥٦هـ) ، اعتنى به: عبد القادر محمد على، ط دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ـ (د ـ ت).
٢٠) ـ صحيح البخاري ، البخاري ، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين ، المكتبة السلفية بالقاهرة ـ الأولى ـ ١٤٠٠هـ.

٢١) ـ صحيح مسلم، مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي ، راجعه لغوياً: أحمد محمد معوض ، مكتبة فياض للطباعة والنشر والتوزيع ـ (د ـ ت).
٢٢) ـ طبقات فحول الشعراء ، تأليف: ابن سلام الجمحي ، الناشر: دار المدني ـ جدة ـ (د ـ ت).
٢٣) ـ الطبقات الكبير، ابن سعد ، تحقيق: علي محمد عمر، الناشر/ مكتبة الخانجي، القاهرة ـ الأولى ـ٢٠٠١م.
٢٤) ـ عيون الحكمة ، ابن سينا ، تحقيق: د/ عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات، الكويت ـ الثانية ـ١٩٨٠م.
٢٥) ـ علم الكلام ومدارسه ، فيصل بدير عون ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ـ الأولى ـ ١٩٧٦م.
٢٦) ـ العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب – ومحمود مهدي الاستانبولي ، الناشر: دار الجيل بيروت ـ لبنان ـ الثانية ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٧) ـ فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ) ، تحقيق: محمد عمارة ، الناشر: دار المعارف ـ الثانية ـ (د ـ ت).
٢٨) ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ، الناشر: مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ (د ـ ت).

٢٩) ـ الفهرست، أبو الفرج محمد البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ) ، المحقق: إبراهيم رمضان ، الناشر: دار المعرفة بيروت ـ لبنان ـ الثانية ـ ١٤١٧هـ.

٣٠) ـ الفلسفة الإسلامية، أحمد فؤاد الأهواني ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ـ الأولى ـ ١٩٨٥م.

٣١) ـ كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى (رسائل الكندي الفلسفية) الكندي ، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة ، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ـ الثانية ـ ١٩٧٨م.

٣٢) ـ لسان العرب ، ابن منظور، تصحيح/ أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ الثالثة ـ١٩٩٩م.

٣٣) ـ محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه ، تأليف: إياد خالد الطباع، الناشر: دار القلم ـ الأولى ـ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٤) ـ مفاتيح العلوم، الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط دار الكتاب العربي، بيروت ـ الثانية ـ ١٩٨٩م.

٣٥) ـ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ـ الثالثة ـ ١٤٢٠هـ.

٣٦) ـ مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون ، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش ، دار البلخي، دمشق ـ الأولى ـ ٢٠٠٤م.

٣٧) ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ـ الأولى ـ ١٩٩٥م.

٣٨) ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ، الطاهر ابن عاشور ، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي ، دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن ـ الثانية ـ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م

٣٩) ـ مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٤٠) ـ من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره ، تأليف: دكتور/ بلقاسم الغالي ، الناشر: دار ابن حزم ـ الأولى ـ ١٤١٧هـ ـ١٩٩٦م.

٤١) ـ معجم التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني(المتوفى:٨١٦هـ) ، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ الاولى ـ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤٢) ـ المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية) ، الدكتور جميل صليبا (المتوفى: ١٩٧٦م) ، الناشر: الشركة العالمية للكتاب ـ بيروت ـ ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٣) ـ المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، بحث بقلم: د/ جمال محمود أحمد أبو حسان ، المجلد الخامس ، العدد ٢أ ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.